# أسس الحرف والصناعات في الغرب الإسلامي

(العوامل المؤثرة في النشاط الحرفي والتجاري)

**أسس الحرف و الصناعات (الموارد الأولية):**

**نباتية: المحاصيل الزراعية:**

**الحبوب:** إهتم المغاربة بشكل كبير بزراعة الحبوب ليس في العصر الوسيط فقط بل حتى في العهود القديمة وهذا بسبب توفر الكثير من العوامل المساعدة على ذلك سواء منها الطبيعية أو البشرية ،إضافة إلى أهمية الحبوب كغذاء أساسي للإنسان، وفي مجال الصناعات الغذائية كمورد من أهم موارد التجارة الخارجية لذلك انتشرت زراعة الحبوب بمختلف أنواعها في كل أنحاء الغرب الإسلامي وهذا ما يؤكده البكري في قول :"كان يحمل من باجة كل يوم ألف حمل بعير من الحبوب إلى تونس و القيروان ".

كذلك الوضع في تاهرت وهذا ما نستشفه من ما ذكره الدرجيني في كتابه طبقات المشايخ حول أبي مرداس مصاهر أحد علماء الإباضية في جبل نفوسة "وذكر عنه أنه كان إذا قدم تاهرت فحصد الناس زروعهم، ولقط اللقاطون السنابل التي تبقى بعد اللقاطين و رعى المواشي تعقبهم أبو مرداس فيلقط ما يقوم بقوت عام فيعتقد أن الذي بقي بعد اللقاطين و رعي المواشي إنما هو متروك".

مما يؤكد أيضا إزدهار زراعة الحبوب في بلاد المغرب هو تحقيقها للإكتفاء الذاتي في الكثير من فترات العصر الوسيط و وصل الوضع إلى التصدير .

نفس الوضع في بلاد الأندلس و هذا ما جاء به إبن الخطيب "اللمحة البدرية في الدولة النصرية" حول سهول الكنبانية و البرجلات أنهما "بحر من بحار الحنطة و معدن من معادن الحبوب المفضلة"

**من أهم هذي الحبوب نجد:**

**_ القمح:**

يزرع في المناطق الخصبة و كان اكثر مزروعات اهل طنجة و مدينة ازيلي و البصرة و الكرت و ماسيته و كذلك على طول الطريق المتجه من فاس الى تلمسان و من جهتين و حتى في جنوب بلاد المغرب الاقصى كالسوس و مدينة سجلماسة حيث وصف صاحب الاستبصار قمحها بقوله" وقمحهم رقيق الحب يسع مد النبي صلى الله عليه و سلم من قمحهم خمسة وسبعين الف حبة"

ومن الادلة التي تبين مدى وفرة هذا المحصول في بلاد المغرب ما شاهده و رواه ابن صاحب الصلاة عن الكميات الضخمة من القمح و الشعير التي اعدها عبد المؤمن بن علا الموحد لجنوده حين عزم على العبور الى الاندلس في قوله" و اعد اي عبد المؤمن من القمح و الشعير للعلوفات و المواساة للعساكر على وادي سبو بالمعمورة المذكورة ما عاينته مكدسا كأمثال الجبال بما لم يتقدم لملك قبله و لا سمعنا به في جيل من الاجيال بقي في ذلك الموضع معدا من عام سبعة و خمسين الى عام اثنين و ستين و خمسمئة حتى فنى في اكداسه و عاد ترابا و رمادا باحتراقه بعضه في بعض و افساد الزمان له افسادا "

و يشير حسن الوزان الى نوعية القمح الجيدة التي كانت تنتجها سهول تاسالة المجاورة لتلمسان بقوله" اما مدينة تاسالة فتقع في سهل كبير يمتد على مسافة عشريم ميلا ينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب يمكنه وحده ان يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب " و عن مدينة تنس يقول:" واما اقليمها فينتج الكثير من القمح "

و يذكر ايضا سهل البطحاء" في سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة و كانت تحقق لملك تلمسان دخلا يقدر بعشرين الف مثقال"

لوفرة انتاج الحبوب و خاصة القمح عرفت تيهرت في العهد الرستمي بعراق المغرب حسب ما ذكره اليعقوبي و يقول حسن الوزان عن قمح متيجة " وفي الضواحي سهول جميلة جدا لا سيما سهل متيجة الذي يبلغ طوله حوالي خمسة و اربعين ميلا و عرضه ستة و ثلاثين ميلا حيث ينبت القمح الجيد"

اشتهرت أيضا باجة بانتاجها للقمح حتى ظهر فيها المثل القائل :" لو كان هناك باجتان لفاق عدد حبات القمح عدد حبات الرمل"

في بلاد الاندلس كان القمح ينتج بشبرب التابعة لبلنسيا و المنكب و مرسية التي يقول الزهري عن قمحها :" فيها موضع يعرف بشنقير تنبت فيه الحبة الواحدة من القمح ثمانين و مئة سنبلة و في السنبلة ثمانين و مئة حبة طيبة"

**_الشعير:** زرع في سهول اسرسو في جنوب تيهرت و وادي الشلف و سهول الساحل و بجاية حسب ما اشار الى ذلك القلقشندي و كذلك في وهران فابن حوقل يقول:" ان غلتها من القمح و الشعير " و كذلك في المناطق الجبلية كجبل متغارة و ولهاصة و بني يزناس و مطغرة لا تنتج الا الشعير اضافة الى باجة و بلاد الجليد كقصطيلة و نفطة و شمال فاس الى نهر سبو ثم الى نهر ورغة و فيما وراء ذلك حتى سفوح الجبال التي تطل على المتوسط و طنجة و ازيلي و

البصرة و الكرت و كذلك بلاد السوس في الجنوب التي اطلق عليها ابن سعيد :" بلاد حنطة و شعير"

في افريقيا كان الشعير وفيرا و يزرع في المناطق الأقل حظا من حيث الظروف الطبيعية و كان اكثر استهلاكا لدى الحفصيين .

في بلاد الاندلس ينتج في غرناطة و ابدة و انده و برشلونة و قرمونة و شنترين و شاريش و سنتره ووادي الحجارة و تدمير و استجه و مدينة المرية التي كان يخزن فيها الشعير لمدة طويلة دون ان يتسوس.

يمكن القول ان مادة الشعير كانت جد متوفرة في بلاد الغرب الاسلامي .

الى جانب القمح و الشعير نجد حبوبا اخرى كالحنطة و الذرة و السمسم و الارز لكنه قليل حسب القلقشندي:" اما الارز فانه عندهم قليل بعضه يزرع في بعض الاماكن من بر العدوة " و زرع كذلك في منطقة السوس اما في الاندلس فقد زرع في المناطق الجنوبية و الشرقية خاصة منها مدينة بلنسية التي تصدره الى جميع بلاد الاندلس.

**_ الاشجار و النباتات المثمرة :**

**_اشجار الزيتون:** من المحاصيل الجد متوفرة في بلاد المغرب ( وهو منتشر في المنطقة منذ العصور القديمة) من اهم مناطق انتاجه افريقيا و المغرب الاوسط (هنين و تلمسان و وهران و بجاية و يذكر يحيى ابن خلدون حول تلمسان :" تحفها الخمائل و الالفاف و الحدائق الغلب بما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين من الفواكه و الرمان و التين و الزيتون" و في المغرب الاقصى في فاس و الرباط و تازة و مكناس خاصة حسب ما جاء به ابن غازي في الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون:" اما الزيتون فيها اي مكناسة كثير جدا و لذلك اضيفت اليه و اشتهرت به و لما ولي محمد بن عبد الله بن وجاج في اول ايام الموحدين بلاد المغرب سيفا و عملا غرس بها و بفاس و برباط تازة بحيرات اكثر غراساتها الزيتون فكان حب زيتون بحيرة مكناسة يباع عام الخمس ربما المقصود بها سنة 555 اي الاخماس بخمس و ثلاثين الف دينار و نحوها ، و حب زيتون بحيرة فاس بخمين الف دينار و نحوها و حب بحيرة تازة بخمسة و عشرين الف دينار و نحوها و ذلك قبل ان يستولي على المغرب تخريب بني مرين " و نفس الشيئ اشار اليه المقدسي و في بلاد الاندلس اشتهرت منطقة جبل الشرف غربي اشبيليا بزراعة اشجار الزيتون بكثرة حتى ان البكري يقول "انه لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه و اشتباك غصونه " كذلك قطبة و غرناطة و المرية .

التوت و دودة القز : من اهم الغلات الزراعية ذات الفائدة الاقتصادية الكبيرة اذ تستعمل شجرة التوت في تربية دودة القز التي تستخرج من شرانقها الخيوط التي تستخدم في صناعة المنسوجات الحريرية و في هذا المجال يذكر الونشريسي ان هناك ما يفيد باشتراك شخصين في تربية دود الحرير و كل واحد منهما يساهم في علوفة دود الحرير بان يشتري ورق التوت و غير ذلك من المؤؤنة التي يحتاج اليها كذلك كان صاحب اشجار التوت يخرج احيانا جزءا من دود الحرير و ورق التوت كنصف مثلا ، في حين يساهم العامل او الشريك بالنصف الاخر و يقوم بتوفير كل ما تحتاجه الدودة و يتقاسمان الحرير أي بمثابة شريكين في الغلة .

من مناطق انتاجه قابس حيث نوه ابن حوقل باهمية انتاجه بها بقوله:" يصنع بها الحرير الكثير الغزير" و يؤكد ذلك البكري في قوله :" ليس في عمل افريقيا حرير الا في قابس " على اساس ان شجرة التوت في قابس يعادل انتاجها انتاج خمسة اشجار في المدن الاخرى و انه من اطيب الحرير و ارقه ، و في الاندلس اشتهرت مرسيو و جيان التي كانت تعرف ب "جيان الحرير" كذلك المرية و ملقة، و ارتبط انتاجه و تسويقه بالملابس النسائية بسبب تشدد الفقهاء بمنع استخدامه في ازياء الرجال الا بالنزر القليل (في الاكمام مثلا) و انتشر بين الامراء و العلماء